2021

إعداد

ابو الحسن الحناوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين!

إن موضوع " تناغم الكون مع الإنسان" من المواضيع الهامة والضرورية لكل إنسان ولكل مسلم على وجه الخصوص ، لما فيه من معنىً واضحٍ وراقى وحقيقةٍ ثابتةٍ لا ينكرها الا جاحدٌ أو جاهلٌ أو غافلٌ لم يُحلّقْ بفكره في سماءِ التدبّر أو يغوص في أعماقِ الحقائقِ ليسبُرَ أغوارَ هذه الأعجوبة الربّانية ، البالغة الترابط ، والشديدة التماسك ، والدقيقة النظم .. تلك العلاقة المدهشة بين الكون والإنسان.

فهذا الكونُ الفسيحُ الذي يَستعصي على الكثيرين تخيّل حدُودَه ، والذي يقفُ عنده الفيزيائيون والفلكيون في حِيرةٍ من أمرهِم ، غالباً ما ينتهي بهم (على إختلاف معتقداتهم) إلى حقيقةٍ واحدةٍ مطلقةٍ ، وهو أن لهذا الكون إلهًا خالقاً ومبدعاً ومدبراً لحركته الانسيابية ، التي تسير في تناغمٍ مذهل ، يَقصُر العقل عن استيعاب مداها !

إن العلاقةَ بيْن الإنسانِ والكونِ
ليست عائمة ولا هى سائمة ..

وإنما هي علاقةٌ مضبوطةٌ بنظامٍ يُحتم على الإنسان بمقتضى عقيدته الإسلامية أن يتعامل مع الكون من منطلق الإحسان لا من منطلق الصراع والإحسان هو فريضةٌ كتبها الله على كل شيء فالمسلم الحقيقي ..

- يرى في الزهرة جمالاً ينبغي ألا يُدمر
- ويرى في العدل جمالاً ينبغي ألا يَغيب
- ويرى في الحرية جمالاً ينبغي ألا يُصادر
- ويرى في الكرامة جمالاً ينبغي ألا يُسلب
- ويرى في المساواة جمالاً ينبغي ألا يُعكر
- ويرى في الأخوة جمالاً ينبغي ألا يَزول
- ويرى في الشرف جمالاً ينبغي ألا يبدد أو يُستباح
- ويرى في الطهر والاستقامة جمالاً ينبغي ألا يُلوث
- ويرى في العمل الجاد جمالاً ينبغي ألا يُبدد
- ويرى في الإبداع البشري جمالاً ينبغي ألا يُهمل
- ويرى في الحق جمالاً ينبغي ألا يُخترق
- ويرى في إعمار الكون وترقية الحياة جمالاً ينبغي ألا يهمل.
- ويرى في الإنجاز العملي جمالاً ينبغي ألا يحقر
- ويرى في المروءة جمالاً ينبغي ألا ينسى
- ويرى في إخلاص العمل جمالاً ينبغي ألا يضيع
- ويرى في الإنسانية جمالاً ينبغي ألا يذل
- ويرى في أمن الناس وحمايتهم جمالاً ينبغي ألا يفزع
- ويرى في حماية الدماء والأموال والأعراض جمالاً ينبغي ألا يراق

وهكذا تتسع هذه الرؤية لتحمي قيم الجمال في كل شيء ، وتدفع الإنسان إلى حمايته في كل عناصر البيئة.

الكف عن فعل الفساد تناغم

الإنسان في علاقته بالكون مُطالبٌ بأن يكفَّ عن فعل الفسادِ (بالإعتداء على الطبيعة بجميع انواع الإعتداءات السافرة) الذي يُخلّ بالتوازن ، والأحجام والكتل ، والأدوار، والنسب ، والنتائج ، والآثار، وهذا ما تُعانيه البشرية اليوم من أمراضٍ وأعراضٍ .. ألم يقل الله عزوجل: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ .. وفي الأثر « ما نزل بلاء إلا بذنب ، وما ارتفع إلا بتوبة» !

الالتزام الأخلاقي تجاه منظومة الكون تناغم

إن البُعد العقدي يُنشئ لدى المسلم التزامًا أخلاقيًّا تجاه الكون وتجاه البيئة والوجود كله ، ففي المنهج الإسلامي مثلاً :

- إماطة الأذى عن الطريق صدقة ، عن النبي ﷺ قال: « تبسمك في وجه أخيك لك صدقة ، إلى أن قال ... وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة » وقس على ذلك كل ما يلوث البيئة أرضاً وبحراً وجواً.
- والقسوة على حيوان أعجم قد تطيح بمستقبل الإنسان عند الله .. لقول رسول الله ﷺ : « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت» كذلك قالوا: يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجراً ؟ قال ﷺ: «في كلِّ ذاتِ كبدٍ رطبةٍ أجر».
- كذلك حث الإسلام على الرحمة والشفقة بالحيوان أثناء حياته وذبحه قال ﷺ: « إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته وليريح ذبيحته ». وكذلك هناك نهي عن التحريش بالبهائم وإيذائهم وتجويعهم قال ابن عباس رضي الله عنه: « نهى الرسول عن التحريش بين البهائم ». ولا نذبح حيوانًا أمام حيوانٍ آخر، أو ندع حيوانًا يشم دم حيوان آخر.

روي عن الرسول عندما دخل بستانًا لرجل من الأنصار فوجد جملاً فلما رأى الجملُ النّبيَ حنَّ وانهمرتْ الدموعُ من عينيه فذهب النّبيُ إلى الجملِ ، ومسح خلف أذنيه ؛ فسكت ثم سأل عن صاحبه فجاء فتى من الأنصار فقال: أنا صاحبه يا رسول الله ؛ فقال رسول الله ﷺ: « أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكَكَ الله إيّاها فإنّه شكا إليَّ أنك تُجيعه وتُدئبه (تُتعبه) وتُرهقه.«

❖ الألتزام الأخلاقي حتي مع النباتات والأشجار

يجب الحرص على عدم اتلافها أو اهمال رعايتها فقد أوصي رسول الله صلى الله عليه وسلم سراياه فقال: » لا تقطعوا شجرة .... ولا تهدموا معبداً ولا تخربوا بناءً عامراً ... حتى البعير والبقر لا تذبح إلا للأكل.«

تناغم بعض النباتات

وقد رصد العلماء بالصوت والصورة أنه عندما نَنْزِع ورقةً من شجرةٍ فإنها تدمع .. وإذا كسرنا غُصناً فإنها تبكي .. بل وإذا دخل البُستانَ حيوانٌ أطلقت الأزهارُ رسائلَ لبقيةِ الأشجار تُنذرها بأن حيواناً ضاراً قد جاء .. وهذه النظرية الحديثة أكدت أن النبات يتوَجّع تماماً كما أنّ أشجارَ الزينة في البيت تعكس الحالة النفسية لأهل البيت .. فيذبُلُ إذا كان الجو حزيناً كئيباً .. وينتعش إذا كان جو البيت مرحاً سعيداً.

والمودة بين الإنسان والطبيعة ، تناغم

إن مفهوم العبودية لله لدى المسلم يُولّدُ نوعًا من التكامل والتجانس والتوافق والمودة بين الإنسان وبين مفردات الطبيعة فهي مخلوقة لله أيضاً ..

- فلا صراع ولا عداء ولا تناقض ولا تضاد
- وإنما تكامل ، ووفاق ، وانسجام ، ومحبة تكاد تكون محسوسة بين الكائن والكون ..

- ✓ لأن الكون والكائن عبدان لمعبودٍ واحدٍ
- ✓ ومخلوقان لخالقٍ واحدٍ
- ✓ وناشئان عن إرادةٍ واحدةٍ ، هي إرادةِ الله الذي خلقَ الإنسانَ والكون!

وكلما ارتقت علاقة المسلم بربه
ارتقت معها وتناغمت علاقته بالأشياء

حتى يتحول الإنسان بمقتضى عقيدته الإيمانية وما تُحْدِثهُ في النّفس من سُموٍ ، إلى عنصرٍ فاعلٍ ومؤثرٍ، بل يُصبح بمثابةِ القائد المتميز أو «المايسترو» في «سيمفونية» تناغم الكون الحيّة النّابضةُ بالحُبّ والولاءِ والامتنان ، والتي تفيض بالتسبيح والحمد لله والثناء عليه .. !!

التسبيح بحمد الله والسجود له العامل المشترك

فمخلوقات الله ﷻ : ملائكة وإنس وجن ودواب وأطيار وحشرات وجبال وجماد وكواكب وشموس وأقمار وأفلاك ومجرات وغيرها يُسبحون بحمد الله وله يسجدون وقد سجل القرآن هذه العلاقات وتبيان هذا التناغم فقال ﷻ:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (النحل).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (النور).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (الحج).

وفي هذا الجو المُفعّم بمعرفة الله والولاء له ترتقي عبودية الإنسان حتى:

- يصبح سيدًا فيه
- تحبه الأشياء ويُحبّها
- وتُحسنُ إليه ويُحسنُ إليها

وهنا تبدو العلاقة كأنها عاقلة بين الكائن والكون ..

بين الكائن في كمال عبوديته

والكون في كمال تسخيره واستجابته !

صور من التناغم المُدهشة

النصوص القرآنية تُقرر المعنى السابق:

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّا ﴾ (مريم).

وُداً أى مَودّة ومَحبّة في قلوبِ عباده.

- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاودَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾.

الجبالُ وهي جمادات استجابت لأمر الله وكذلك الطيورُ وهي ذوات أرواح وحياة شاركوا نبي الله وهو بشرٌ في التسبيح لله في تناغم عجيب ومذهل لمن يتمعن في هذا الأمر الربّاني .. كما أن الحديدَ وهو مادةٌ صلبة ، استكانت لأمر الله فلانت لنبي الله داوود وسُهّلَ له تشكيلها دون أنْ يُوقد النّار عليها.

- وقد صح في الحديث الشريف عنه ﷺ أنه قال: « أُحدٌ جبلٌ يُحبنا ونحبه» فقد أثبت رسول الله ﷺ حُبّ الجبلِ له ، ولا مانِعَ من وُقوعِ مِثْلِ ذلك الحُبِّ ؛ بأنْ يَخْلُقَ اللهُ تعالَى المَحَبَّةَ في بعْضِ الجَماداتِ ، كما جازَ التَّسْبيحُ منها !

- إنه كمالُ العبوديةِ الذي يَخلُقُ كمالِ الاتّصال الذي لا تستشعرُ طعمه إلا النفس التي عرفت وذاقت !

تناغم الحشرات مع البشر

تُعتبر الحشرات من أكثر الحيوانات تنوعاً وانتشاراً ؛ إذ يوجد أكثر من مليون نوعٍ من الحشرات تنتشر في البيئات المُختلفة ، هناك العديد من الحشرات يُمكن تصنيفُها على أنّها نافعة للإنسان ؛ لكونها تقدّم له منفعةً.

الحشرات النّافعة تؤدي الكثير من الأدوار المهمّة والحيوية لحياة البشر وذلك "لونٌ من ألوانِ التّناغمِ" بين الحشرات والإنسان ومن تلك الأدوار:

- تلقيح النّباتات الزّهريّة : تتغذّى الكثير من الحشرات ومنها النّمل ، والفراشات، والنّحل، والدّبابير على حبوب اللّقاح ورحيق الأزهار، وأثناء ذلك تنقل حبوب اللقاح من زهرة إلى أخرى ، ممّا يساعد على تلقيح النّباتات وزيادة أعدادها.
- إنتاج بعض المواد المفيدة: من هذه الموادّ الحرير الذي تنتجه دودة القز، والعسل والشّمع اللذين ينتجهما النّحل.
- علاج بعض الحالات المرضيّة: يمكن استخدام يرقات بعض الحشرات، مثل يرقة النغفة لعلاج الجروح لتجنّب الإصابة بالغرغرينا؛ وذلك لأنّها تتغذى على اللحم الميت ، وكذلك لسعات النحل المفيدة.
- الصّيد: يستخدم بعض الصيادين يرقات الحشرات (الدود) كطُعم للصيد.

- مصدر للغذاء: توجد الكثير من الشّعوب التي تتناول بعض أنواع الحشرات كمصدر للبروتين والدهون الجيدة والكالسيوم.
- تدوير المواد البيولوجيّة: تتغذّى بعض الحشرات مثل الخنافس على الحيوانات الميتة والأشجار المتساقطة، وتُدعى هذه الحشرات بالقمّامَة ، وتعيد تدوير المواد العضويّة إلى أشكال تستفيد منها الكائنات الحيّة الأخرى.
- الحد من تكاثر الحشرات الضّارة: توجد المئات من أنواع الحشرات التي تتغذى على حشرات ضارة أو على بيوضها ، ممّا يقلل من أعدادها في البيئة ، وبذلك تقل الحاجة لاستخدام المبيدات الحشريّة التي لا تميّز بين الحشرات الضّارة والمفيدة ، فتقضي على النّوعين معاً وذلك هو التناغم.

وتوجد أيضاً حشرات تُصنّف على أنّها ضارّة للإنسان ، ومنها ما يُمكن الاستفادة منها في مُعالجة بعض الأمراض ، وفي ذلك أيضاً تناغمٌ كبيرٌ إما(+) أو(–) حيث انها مُسخرة من قبل خالقها ، فإما يكون أذاها ابتلاءً (+) أو تأديباً (+) ، أوعقوبةً (–) أو تحذيراً (–) من الله عزوجل.

- الحشرات الضّارة وسُميت بذلك لما تسبّبه من ضرر وإزعاج للبشر، عند طريق اللدغ وتسبب الحكة ، او امتصاص الدم أو نقل الأمراض أو اصدار أزيز مزعج أو ما يسبب أضراراً بالأطعمة أو بالأثاثات أو المحاصيل وغير ذلك من الأضرارمنها على سبيل المثال الأنواع الآتية: الجراد والسوس و البعوض والبراغيث وذباب الرّمل والذّباب المنزلي بعض أنواع النّمل والذّباب القارص والبقّ والصراصير وغيرها.

تناغم الحيوانات مع البشر

لقد سخَّر اللهُ جميعَ مخلوقاته لخدمة الإنسان ، منها للأكل ومنها للركوب ومنها للزينة في علاقة متماسكة ومتجانسة يجعل منها سيمفونية راقيةٍ ، يتوافق فيها الإنسان الطائع لله والمخلوقات في لحن متميز من أنغام التوحيد والتسبيح والسجود لله شكراً ، كل يعزف بما حباه الله من إمكانية ومهارة.

والحيوانات كذلك تتناغم كل حسب ما زوّده الله من وسيلة تنفع الإنسان !

- فأغلب الثعابين وبعض الضفادع وانواع من الأسماك السامة والعقارب ونوع من الحلزونات وبعض قناديل البحر وغيرها من الحيوانات التي تتمع بوجود خاصية السُمّية في أجسامها من الخطأ حصر وظيفة السم في الدفاع عن نفسها فقط .. حيث أن الإنسان وجد ضالته في استخراج بعض هذه السموم واستخدامها في علاج الآثار الخطيرة الناتجة عن لدغات بعض الحيوانات والحشرات وتسكين الآلام.

وذلك هو الإنسجام بين مخلوقات سامة في الكون وإفادتها في حياة الإنسان.

- ومثلها حيوان (الخنزير) الذى يقم الأرض بطبعه "المجبول عليه" فيأكل كل شيئ يصادفه من أشياء صالحة وغير صالحة ومنها القمامة.
- وتقوم الطيور الجارحة بأكل الجيف فتعمل على تنقية البيئة منها.

تناغم المعادن مع البشر

يتم تصنيف المعادن الأساسية (الضرورية) لصحة الإنسان إلى فئتين على القدر نفسه من الأهمية ، وهما معادن كبيرة المقدار ومعادن ضئيلة المقدار.

وحاجة الإنسان الضرورية وإفادة المعادن المسخرة لجسمه إنما هي العلاقة النبيلة والتى يُقصد بها التناغم بين المعادن والإنسان.

- النوع الأول من المعادن يُستخدم لتخزينه بكميات كبيرة في الجسم ، ويندرج تحته كل من الكالسيوم ، والكلوريد ، والماغنيسيوم ، والفسفور، والبوتاسيوم ، والصوديوم ، والكبريت.
- النوع الثاني لا يقل عن أهمية الأول لصحتنا ، لكننا لا نحتاج إلى كمية كبيرة منه .. ويشمل النوع الثاني الكروميوم ، النحاس، الفلوريد ، اليود، الحديد ، المنجنيز، الموليبدنوم ، السيلينيوم ، والزنك.

تناغم الأحجار الكريمة مع الإنسان

تقوم بعض الأحجار الكريمة بإفادة جسم الإنسان بطرق متعددة أحياناً حسياً أو معنوياً .. فتستخدم لإضفاء جو من الراحة أو دفع شرور الشياطين أو علاج بعض الأمراض الجلدية والعظام أو طرد الأفكار السلبية ولعلاج داء الشقيقة وآلام الرأس والإضطرابات الهرمونية والتشنجات العصبية وغيرها وتلك الأحجار الكريمة مثل: الياقوت والعقيق والفيروز والكهرمان والزمرّد والزبرجد.

تناغم الأعشاب مع الإنسان

تضيف الأعشاب الطبيعية الطعم واللون والرائحة للطعام ، ولكنها تعتبر في المقام الأول طبيب مداوى لأمراض وأعراض عديدة لما تمتلكه من فوائد مختلفة لجسم الإنسان والتي تتناغم معه مثل الجنزبيل ، اكليل الجبل ، القرفة القرنقل ، الزعتر ، الكزبرة ، الكمون ، النعناع ، المرمارية ، الكركديه ، الفلفل الأسود والأبيض ، البابونج ، الشاى الأخضر والأسود ، العرقسوس الموريجنة ، ورق اللورا ، حب الرشاد ، حبة البركة ، الكركم ، اليانسون .. وغيرها من الأعشاب.

نظرة قاصرة عن الكون

كل ما يَهمُّ الإنسان أو يشغل باله هو الحيّز الضيّق الذي وجد فيه نفسه وهو الوطن، أو المساحة التي تستطيع أقدامه بلوغها على الكرة الأرضية ؛ لذلك فإن كوكب الأرض أقصى حدودنا ، فإذا تحدثنا عن الفضاء ؛ عددنا الأمر خاصًا بالوكالات الفضائية ، وأنه لا يعنينا في شيئ وهذا فكر قاصرٌ ومَعيب!

لم نتعلم أن حياتنا نحن البشر جزءٌ من مسارات الكواكب ودورة الأفلاك ، وأننا نعيش معها في حالة تكامل ، كحلقة دائرية تتحرك بانتظام شديد ، واتساق مُحكم .. لذلك ؛ فلا عجَب أن يسير كل شيء ـ بلا استثناء ـ ضمن هذه النظرية المتعلقة بهذا التناغم ؛ حتى إذا وقفنا عند الإنسان ككائن حي؛ أن كلُ ذرةٍ ، وعضو، وجهاز يعملون جميعًا وِفق هذا المفهوم!

إرتباط مواقيت العبادة بالكون تناغم

❖ قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾. إذا تأمَّلت في معنى "كِتَابًا مَّوْقُوتًا" تجد أن الصلوات يُوقت لها حسب أطوار الشمس من خلال اليوم ، وهذه العلاقة هي التناغم المقصود.

❖ وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾. فإذا تأملت وجدت أننا نستعين بالقمر وأطواره لمعرفة الشهور عامة ورمضان خاصة.

❖ وقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. أيضاً تجد ميقات الحج إلى بيت الله العتيق مرتبطة بالقمر!

وقال تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.
أيضًا نفس المبدأ منطبقًا على الزكاة ، هذه العبادة الهامة التي نُخرِج أموالنا فيها تزكية لأنفسنا بعد مرور عام قمري كامل على نصاب أموالنا.

علاقة الإنسان والكون بالله .. تناغم

إذا بحثنا في علاقة الإنسان بالكون من حوله وعلاقتهما معًا بالله عزوجل نجد الإنسان على نوعين:

- نوعٌ طائع لربه مُتَّبِع لأمره فهو في تناغم مع الكون من حوله يحمد الله على تسخير الكون له يفرح بالكون كما يفرح الكون به!

نعم فالكون منسجم معه يراه جزءًا منه صديقًا له لأنهما يعبدان الله معًا وحتى في نفس الأوقات!

فالمسلم يعبد الله .. مع عبادة الشمس لله "الصلاة" ويعبد ربه مع عبادة القمر لله "الصيام والحج والزكاة" ويسبح بحمد الله مع تسبيح الرعد لله ويحمد الله حين هطول الأمطار وحين يركب الدواب التي هي أيضا تسبّح الله وحين يسمع صياح (أذان) الديكة ، ونقيق الضفادع تسبيحٌ لله وكل شيئ لقوله ﷻ:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾.

وبهذا يكون المسلم مُعزَّزًا مُكرَّمًا في كون الله الذي سخَّره لأجله يُحِسُّ بأنه في قصره الرحب الجميل.

علاقة العاصي لله .. نشاز

- نوع غيرُ طائعٍ لله أراد بحريته التي منحها الله له أن يعصي ربه فكان بهذه المعصية نشازًا في الكون يعافُ الكون من حوله .. ولا يتأمَّل فيه ولا يتفكَّر في حُسنه وحُسن خِلقته .. كما يعافُه الكون من حوله فيودُّ لو أن له الحول والقوة لطرد هذا الناشز عن نغم عبادته الجميل خارجه ليقول له : "لا مكان لك بيننا فنحن جميعًا نعبد الله الفرد الصمد".

وبهذا يُحِسُّ الغير مسلم بالضِّعة والهوان ، ويُحِسُّ أنه نقطة مهينة في وسط كون فسيح لا يُلتفت إليه ولا يُهتم به .. وأنه في وسط كونٍ لم يُخلق لأجل الحياة .

البعد عن منهج الله هلاك

وفي مقابل هذا يتحدث القرآن الكريم عن هلاك الأمم ، ويبين أن السبب في ذلك هو البعد عن منهج الله سبحانه وتعالى ، فكلما خالف الإنسان أوامر الله وارتكب نواهيه جاء القرآن ليبين كارثية التصورات الخاطئة والمفاهيم المغلوطة ، وكيف تؤثر على حياة الإنسان وتسبب له مشاكل مادية ومعنوية يقول سبحانه وتعالى مبينًا تأثير المعاصي والتخلي عن عبادة الله على الإنسان: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ وصور العقاب كثيرة جداً مثل:

كثرة الزلازل والبراكين ، وشح الأمطار، قلة المحاصيل الزراعية ، كثرة الأمراض المستعصية وانتشار الأوبئة ، عموم الفقر وقلة الموارد ، تعاظم الحروب ، كثرة القتلى ، رفع البركة من كل شيئ ، شح البحار والأنهار، تصحر الأراضى ، تسمم الهواء في جو االسماء .. وغير ذلك !!

وأما صور الفساد فهي متعددة وكثيرة جداً حيث أنها من أعمال الشيطان الذى مهمته الإفساد في الأرض بكل ما أوتي من قوة إنتقاماً من الإنسان ليفسد عليه دنياه وآخرته معاً ، وبذلك تصبح حياة أوليائه نشاز يتخبطون في ظلمات ذنوبهم ، ثم يكون مآلهم الى الخسران المبين .. ومن الفساد:
التعدى على حرمات الناس من أعراض وأموال وممتلكات وسلبهم حرياتهم وتعميم الظلم والجور ونشر الرذيلة والفجور واعتماد الرشوة وترك المجرمين والخونة دون حساب أوعقاب واباحة التجسس واستباحة المجون والإختلاط بين الجنسين والعمل على اسقاط هيبة العلم والعلماء وتجاهل حقوق الإنسان في المعيشة بكرامة وبرعاية صحية وإهمال التعليم وتطوير المناهج والعبث بثروات المواطنين والقائمة في هذا المجال تطول.
ومن تدبرأحوال العالم وجد أن:

✓ كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله ﷺ

✓ وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مُخالفة الرسولﷺ والدعوة إلى غير الله.

قال سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾.

والفرقان هو العز والنصر، والنجاة والنور الذي يفرق بين الحق والباطل.

وقال أيضاً: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾.

الإنسجام في طاعة الله سعادة

- كن كريمًا بانسجامك مع الكون من حولك في طاعة الله لتكون في سعادةٍ وحبٍ مع نفسك ، ومع الكون من حولك ، ومع الله!

  فائِزًا فوزًا عظيمًا في الفردوس الأعلى من الجـنّة ..

- ولا تكن مَهينًا وضِيعًا بنشوزك .. عاصيًا لله مُعلِنًا حربك على من أكرمك بإيجادك من عدم .. خاسِرًا خُسرانًا مبينًا في جهنم وبئس القرار.

ـ فالكون سُبب له من الأسباب ومن الوفرة في كل شيء ، لكي يتناغم مع من يسعى إلى أن يُنمّى خلايا الإبداع بداخله بإدراك واكتشاف قوى الروح والعقل من القوانين والإمكانات والقدرات العظيمة التي وهبها الله .

ـ وعلينا فهم كثيراً من تناغم الأشياء مع بعضها البعض من أجل البقاء في الحياة برُقي وفهم واعٍ لها ، فبقدر ما يُعطي الإنسان من جهد أصيل يأخذ الخير الكثير بشرط فهم المصدر الحقيقي لأصل الأشياء وهو الله.

ـ فلنتناغم مع البيئة والكون ومع أنفسنا حتى نستشعر السعادة المفقودة بيننا، فكل ما يعكر صفو الكون يكمن في حالة التنافر بيننا وبين أنفسنا ، وينعكس ذلك على الطبيعة بنشاز كوني خطير كما أسلفنا في صدر المقال.

ـ يجب أن يسعى كل منا لأن يكون عازفاً ماهراً فيما يجيده ، ويحرص أن يتعايش مع الآخر لكي نرى التناغم المُبهر في كل الأشياء التي تحيط بنا، وحتى تكتمل السيمفونية الكونية مع سائر الموجودات.

اجعل عنوان حياتك كيفية جنْي السعادة والفرح بهدايا ونعم الله عليك.

اسأل الله لى ولكم السلامة والهداية وحسن الخاتمة .. والى اللقاء !

أخوكم في الله / ابوالحسن الحناوى

فيينا في 4 من نوفمبر 2021